الباب السادس

الأغلبية المتفرجة والأقلية المتحكمة

الأغلبية والأقلية

على مدى تاريخ مصر تلك الدولة القديمة قدم التاريخ، ولعلها أول دولة أنشئت فى التاريخ محددة الموقع والمساحة والعرق واللغة والتدين والطباع والتقاليد، وهذه هى سمة مصر وشعب مصر، ودولة مصر تتكون دائمًا من أقلية عاملة لا مكان لها فى السياسة فهيا أغلبية متفرجة، وأقلية متحكمة فى مقاليد الحكم والثروة فى البلاد وهذه الأقلية إما دينية (كهنة ورجال دين) أو أقلية رأسمالية تحكم بالمال وقوة المال، أو أقلية ذات سمة سياسية وهى حالة نادرة وقليلة الحدوث، ولكى نفهم الأغلبية والأقلية المصرية يجب أن نغوص فى تاريخ مصر فى أهم أحداثها ونرى صورة الزعامة فى مصر فى هذه الأحداث.

مصر والشعب المصرى على مدى التاريخ

تتجلى عبقرية الشعب المصري العظيم في عبقرية المكان وعبقرية الزمان.

فأما عبقرية المكان وهو الموقع الجغرافي لمصر التي تتوسط الشرق والغرب بل والشمال والجنوب كما أن انبساط الأرض المصرية منذ بداية التاريخ وتوسط مناخ مصر وجريان النيل في وسط مصر من الجنوب إلى الشمال جعل الشعب المصري شعبًا مؤمنًا بوحدانية الله لما لاقاه من نعم الله التي تعم مصر في كل مكان على أرض مصر. وثبات المناخ وتوسط حرارة الجو صيفًا

وشتاءً جعلا المصري ومنذ عهد الفراعنة يميل إلى السكون والثبات فكانت الزراعة هي مهنة المصري القديم، ثم بعد توالي الغزوات على أرض مصر أصبح المصري يبني جيشًا قويًا يدافع به عن مصر وأرض مصر. ومنذ بداية التاريخ لم يكن المصري غازيًا أو فاتحًا لأي بلد بل إنه كان ناقلاً للحضارة والعلوم لكل بلد دخلها وفتحها سلمًا لا حربًا، وهكذا كانت عبقرية المكان من أهم مفاتيح الشخصية المصرية من إيمان وتوحيد بالله وثبات وعزيمة في الدفاع عن أرضه وسلام مع كل جيرانه.

وأما عبقرية الزمان في الشخصية المصرية، أنه دائمًا مسالمًا صبورًا يتحمل إلى أقصى حدود التحمل حتى يبدو وكأنه شعب لا يثور أبدًا، ولكنه في الوقت والزمان المحدد يثور ثورة كبيرة تأتي كفيضان النيل فتخلع كل من يقف أمامها. وهذا ما نستقرءه من تاريخ مصر في كل العصور، ففي البداية وعند تشرذم المصري القديم وتفكك مصر إلى دويلات قام المصري (مينا) بتوحيد مصر مرة أخرى وعودة الأمن والأمان إلى مصر، ثم وبعد سنوات عديدة وعندما استقر الهكسوس الغزاة في مصر قام المصري (أحمس) بطرد الهكسوس وعادت مصر الحضارة والتاريخ، وتمر السنوات وبعد حروب كثيرة من جيران مصر مهددين أرض مصر يقوم المصري (رمسيس الثاني) بطرد الحيثيين من مصر ومطاردتهم حتى حدود سوريا ونشر الأمن والأمان في ربوع مصر.

وتمر آلاف السنين، وعندما احتل الصليبيون فلسطين مهددين مصر وأمنها قام والي مصر (صلاح الدين) فحرر القدس وانتصر على الصليبيين ونشر السلام في ربوع مصر وكل البلاد المجاورة. وكذلك عندما هدد المغول الدولة الإسلامية قام والي مصر (قطز) فانتصر

على المغول ونشر السلام في ربوع مصر.

وتمر السنون ويأتي والي مصر (محمد على) فيبني أكبر أسطول بحري وينشئ دولة إسلامية كبيرة على أرض مصر وينشر السلام في كل المنطقة .

وتمر السنون ويأتي المصري (أنور السادات) وينتصر على إسرائيل ويحرر سيناء في موقعة كبيرة (حرب العبور ٧٣) .

وتمر السنون بمصر ويأتي الشعب المصري ويسانده الجيش المصري العظيم فيسقط نظامًا فاسدًا كاد أن يفتك بمصر وشعب مصر. وذلك في الخامس والعشرين من يناير. وإن شاء الله سوف يعم السلام والأمن ربوع مصر ..

الأغلبية والأقلية بعد الخامس والعشرين يناير

أفرزت أحداث الخامس والعشرين من يناير مجتمعًا مختلفًا تمامًا عن ما قبله، وذلك فى كل نواحى الحياة فى مصر، ولا نكون مغالين حين نقول أن الشخصية المصرية المسالمة والمطيعة لقيادتها والبعيدة كل البعد عن السياسة ومتاعبها والمشغولة كلية بلقمة العيش أصبحت بعد الخامس والعشرين من يناير شخصية متحررة تتشغل بالسياسة وبمطالبها السياسية وتنادى بالتغيير وبالحرية وهى نتيجة طبيعية جراء القمع الذى عاشتها المجتمعات المصرية، ولكن هذا التغير وإن جاء مواكبًا أحداث ثورة يناير إلا أنه لم يختلف فى تكوينه عما قبل الثورة، فالمجتمع المصرى تحول من أقلية حاكمة مهتمة بالسياسة وأغلبية محكومة لا تعمل

ولا ترغب فى العمل السياسى، إلى مجتمع يتكون من أغلبية تعمل بالسياسة وتنادى بالتغيير ولكنها لا تحكم، وأغلبية تعمل بالسياسة وتحكم بإسم الدين، وهكذ تكررت الثنائية الشهيرة أقلية حاكمة وأغلبية محكومة، وإن إختلف الشكل ولم يختلف المضمون !!.